مطرانيــة الأقبــاط الأرثوذكــس
لمركزي مغاغه والعدوة - بمغاغه

سكرتارية المطرانية
صادر /
مرفقات /
التاريخ ١٩ / ١ / ٢٠٢١م
رسالة رعوية ((٣ - ٢٠٢١م))

البر وتكملته

مقدمة :

تعيد كنيستنا في هذه الليلة المباركة ، بعيد الغطاس المجيد . وبالرغم أنه يتزامن معه الأثار الضارة ، لوباء كورونا المستجد ، على نواحى كثيرة من جوانب الحياة . ألا أنها لم تنسينا وعد الله الصادق لنا ، في بركات هذا العيد ، القائل : ((ولكم أيها المتقون أسمى ، تشرق شمس البر ، والشفاء في أجنحتها)) (ملا ٤ : ٢) .

ولذا يسرنى أيها الأحباء ، أن أتقدم لكم جميعاً بالتهنئة القلبية ، بعيد الغطاس المجيد . طالباً لكم جميعاً ، ولوطننا العزيز مصر ، وللعالم أجمع ، كل بركة وخير وصحة وتقدم .

أما عن موضوعنا ، فى هذا العيد المبارك ، فهو عن : البر وتكملته .

علمنا السيد المسيح عن أهمية فعل البر وتكملته ، وقت أن تقدم إلى القديس يوحنا المعمدان ، طالباً أن يعتمد منه ، فأعتذر له قائلاً : ((أنا محتاج أن أعتمد منك ، وأنت تأتى إلى)) (مت ٣ : ١٤) .

لأن يوحنا كان يعلم أن معموديته ، هي معمودية للتوبة لغفران الخطايا . بالتالى المسيح ، ليس في حاجه إلى هذه المعمودية ، لأنه قدوس القديسين ، ومعصوم عن الخطايا .

ألا أن المسيح أراد أن يعتمد ، بصفته نائباً عن الإنسان ، وبمعموديته قدم نفسه مثالاً ، لكى نتمثل به في العماد ، والبر وتكملته ، ولذا قال ليوحنا : ((أسمح الآن ، لأنه هكذا يليق بنا ، أن نكمل كل برٍ)) (مت ٣ : ١٥) .

وبناء عليه ، أطاع يوحنا المسيح ، وعمده في نهر الأردن .

ولنرجع لما قاله المسيح ، وقت عماده ، ليوحنا المعمدان : ((يليق بنا أن نكمل كل برٍ)) .

فما هو أذاً البر وتكملته ، الذى طالبنا به المسيح ، وقت عماده من يوحنا المعمدان ؟ ! .

البر وتكملته ، الذى طالبنا به المسيح ، وقت عماده من يوحنا المعمدان ، نذكره لكم ، واحداً بعد الآخر ، وهو :

١- بر الإيمان .

أي البر ، الذى يعد ثمرة من ثمار الإيمان بالله ، كما أشار الرسول ، في رسالة إلى أهل روميه : ((البر الذى بالإيمان)) (رو ١٠ : ٦) . ((أو البر الذى من الله ، بالإيمان)) (في ٣ : ٩) .

مثال لذلك دعوة الله لأبراهيم أب الآباء ، بأن يكون أباً روحياً لكل شعوب الأرض .قائلاً له : ((أذهب من أرضك ، ومن عشيرتك ، ومن بيت أبيك ، إلى الأرض التي أريك ... فذهب كما قال له الرب)) (تك ١٢: ١،٤) .

فأطاع أبراهيم الله في دعوته له ، مستنداً على إيمانه به ، وهذا ما شهد له الرسول بولس في رسالته ، إلى العبرانيين : ((بالإيمان لما دعى أبراهيم أطاع ... وهو لا يعلم ، إلى أين يذهب)) (عب ١١ : ٨) . فاذاً طاعة أبراهيم لله بالإيمان : ((حسبت له براً)) (غل ٣ : ٦) .

وهكذا نحن أبناء أبراهيم بالإيمان ، يحتسب إيماننا بالله براً ، كما أشار الرسول : ((اعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان ، أولئك هم بنو أبراهيم . والكتاب إذ سبق فرأى ، أن الله بالإيمان يبرر الأمم ، سبق فبشر أبراهيم ، أن فيك تتبارك جميع الأمم . إذاً الذين هم من الإيمان ، يتباكون مع أبراهيم المؤمن)) (غل ٣ : ٧ – ٩) .

فإذاً إيماننا بالله يحتسب براً ويقودنا إلى البر ، إذاً كان هو الإيمان المُسَلَّمِ مَرّة للقديسين (يه ٣) ، أي الإيمان المُسَلَّمِ مَرّة من الرب للآباء الرسل ، وسُلِّمِ للكنيسة (١ كو ١١ : ٢٣) . ومع ذلك يجب أن نعيش هذا الإيمان في

❖❖

حياتنا ، ونتدرج فيه من درجة إلى درجة ، ومن فضيلة إلى فضيلة .

وهذا جانب من جوانب البر وتكملته ، الذى أشار إليها المسيح ، في حديثة مع يوحنا المعمدان .

أما أذا كان إيماننا ، إيمان ظاهرى أو شكلى ، فلا يبررنا ، بل سيكون سبب دينونه لنا ، لأنه إيمان ميت وبدون عمل صالح بالتالى ، لكى يكون إيماننا سبب بر لنا يجب أن :

٢- يقترن بالأعمال الصالحة .

كما أشار الرسول ، في رسالته لأهل غلاطية : « الإيمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) .

وإليك مثال لذلك أبراهيم أب الآباء ، وقت أن قدم أبنه أسحق على المذبح محرقه .

وهذا واضح من تعاليم يعقوب الرسول : « ألم يتبرر أبراهيم أبونا بالأعمال ، أذ قدم أسحق أبنه على المذبح . فترى أن الإيمان ، عمل مع أعماله ، وبالأعمال أكمل الإيمان وتم الكتاب القائل : فآمن أبراهيم بالله ، فحسب له براً ، ودعى خليل الله ترون إذاً إنه بالأعمال ، يتبرر الإنسان ، لا بالإيمان وحده » (يع ٢ : ٢١ – ٢٤) .

وكذلك من أمثلة الذين بررتهم أعمالهم الصالحة ، مع إيمانهم راحاب المرأة الأممية .

ولها شهد يعقوب الرسول ، بقوله : « وكذلك راحاب الزانية أيضاً ، أما تبررت بالأعمال ، إذ قبلت الرسل ، وأخرجتهم في طريق آخر » (يع ٢ : ٢٥) .

نفهم إذاً مما ذكر ، إن الإيمان مع الأعمال الصالحة ، يعطى التبرير .

أما إذا كان لنا إيمان ، بدون أعمال صالحة ، فيكون إيماننا ميت ولا يبررنا ، مثل موت الجسد ، الذى فارقته أو خرجت منه الروح ، وهذا واضح مما قاله الرسول : « الإيمان أيضاً ، أن لم يكن له أعمال ميتٌ في ذاته . لكن يقول قائل : أنت لك إيمان ، وأنا لى أعمال . أرنى إيمانك بدون أعمالك ، وأنا أريك بأعمالى إيمانى ... لأنه كما أن الجسد ، بدون روح ميتٌ ، هكذا الإيمان ، بدون أعمال ميتٌ » (يع ٢ : ١٧ ، ١٨ ، ٢٦) .

وكما أن أعمالنا الصالحة ، هي سبب بركة لنا ، أمام الله . كذلك يجب أن نتدرج في الأعمال الصالحة ، من درجة إلى درجة ، ومن عمل إلى عمل ، ونستمر فيها إلى نهاية حياتنا : « الذى أبتدأ فيكم عملاً صالحاً ، يكمله إلى يوم يسوع المسيح » (في ١ : ٦) . وذلك للوصول للكمال المسيحى ، المطالب به كل إنسان : « كونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى في السموات ، هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) . عاملين بوصية الرب القائل : « يليق بنا أن نكمل كل برٍ » .

ومن جوانب البر ، وتكملته المطالبين به من الله :

٣- هو الحصول على سر المعمودية ، وعطاياه ، والحفاظ عليها .

أمر الرب ورسله الأطهار ، بأعطاء سر المعمودية ، لكل إنسان أمن به ، قائلاً لهم : « أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والأبن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) .

وبمعمودية الإنسان ، يحصل على عطايا كثيرة ، فمن بينها : خلع الإنسان العتيق مع أعماله ، مع لبس الإنسان الجديد في البر ، الذى يتجدد : « إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله . ولبستم الجديد ، الذى يتجدد لمعرفة ، حسب صورة خالقه » (كو ٣ : ٩ – ١٠) .

وكذلك في الرساله إلى أهل أفسس ، يؤكد الرسول على دور المعمودية ، في خلع الإنسان العتيق فيها ، ولبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر : « أن تخلعوا من جهه التصرف السابق ، الإنسان العتيق الفاسد ، بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد ، المخلوق ، بحسب الله في البر ، وقداسة الحق » (أف ٤ : ٢٢ -٢٤) .

كما انه في الرساله الأولى لأهل كورنثوس ، يشير الرسول ، إلى دور المعمودية ، في الغسل من الخطايا والتقديس والتبرير : « لكن اغتسلتم بل تقدستم ، بل تبررتم باسم الرب يسوع ، وروح إلهنا » (١ كو ٦ : ١١) .

فواضح أننا في المعمودية ، حصلنا على الإنسان الجديد في البر ، ونحافظ عليه بالتوبة والتداريب الروحية ، وتطبيق كلمة الله ، فمن هنا قال الرسول : « لبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة » .

فعطايا المعمودية للإنسان هي بر ، والحفاظ على هذه العطايا ، تكمله لهذا البر ، كما أوصى الرب .

❖❖

من المعروف عن الخطية ، انها دعوة إلى الشر ، أما عن :

٤- التوبة فهى دعوة للبر ، والأستمرارية فيه .

وهذا واضح من قول الرب : « لم آتِ لادعوا أبراراً ، بل خطاه إلى التوبة » (مت ٩ : ٣) ، (مر ٢ : ١٧) ، (لو ٥ : ٣٢) .

فالتوبة هي دعوة للبر ورجوع إليه . ولذا قال دانيال النبى لنبوخذنصر : « فارق خطاياك بالبر ، وآثامك بالرحمة للمساكين ، لعله يطال أطمئنانك » (دا ٤ : ٢٧) .

بالتالى الخدام الذين ردوا الناس إلى التوبة ، فهم ردوهم إلى البر ومكافأة لهم ، أصبحوا كالكواكب إلى أبد الدهور : « والذين ردوا كثيرين ، إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور » (دا ١٢ : ٣) .

ونظراً لأن الشهوات الشبابية خطية وتبعية للشر ، والتوبة فضيلة وتبعية للبر ، نصح الرسول يوصى ، تلميذه تيموثاوس قائلاً له : « أما الشهوات الشبابيه ، فأهرب منها ، واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام ، مع الذين يدعون الرب من قلب نقى » (٢ تى ٢ : ٢٢) .

وكما نصح الرسول تلميذه تيموثاوس ، بالبعد عن الشهوات الشبابية ، نصحه أيضاً بالهروب عن محبة المال ، وأتباع التوبة التي تعد هي بر : « محبة المال أصلٌ لكل الشرور ، الذى إذ أبتغاه قومٌ ضلوا عن الإيمان ، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة فأهرب من هذا أتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة » (١ تى ٦: ١٠-١١) .

فالتوبة ، هي بر . أما عن تكملة التوبة ، فهى كراهية للخطية ، وموت عنها ، مع الثبات والأستمرارية في التوبة ، حتى النفس الأخير ، وهذا يحتسب تكمله لبر التوبة .

ولا يفوتنا أن نشير إلى جانب هام ، من جوانب البر ، وتكملته ، فهو :

٥- فهو الشبع الروحى ، وتعدد مصادره .

وذلك بواسطة الصلاة والصوم ، والتداريب الروحية ، والتناول من جسد الرب ودمه ، وقراءة سير وتطبيقها على الإنسان .

مع الوعد من الرب ، بأنه سوف يشبع من يسعى إلى الشبع الروحى : « طوبى للجياع والعطاش إلى البر ، لأنهم يشبعون » (مت ٥ : ٦) .

فالشبع الروحى ، وتعدد مصادره ، يحتسب جانباً من جوانب البر أما عن تكملته يتضح من أن النفس ، لا تشتهى عسل العالم ، بل تدوسه . ولا تشعر أن ناقصها شيء ، بالرغم من انها تحيا حياة الزهد والتجرد.

ولا يفوتنا أن نشير إلى :

٦- العمل بكلمة الله والتدرج في تطبيقها أعطانا الرب وصاياه الإلهية موصى بها منه .

فهي نافعة لتعليمنا وتوبيخنا لتقويمنا وتأديبنا الذى في البر لكى نكون أناساً لله كاملين متأهبين في كل عمل صالح (٢ تى ٣ : ١٦ ، ١٧) .

ولذا لأن الرب أعطانا وصاياه لكى نحياها قال لنا : « الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة » (يو ٦ : ٦٣) فيجب علينا أن نعمل بكلامه لأن العمل بوصاياه يُعد جانباً هاماً من جوانب البر .

أما عن تكملة البر في حفظ وصايا الله فهى تقوم على تحويل القراءة إلى حياة ، والتدرج في حفظ الوصايا للوصول إلى اقتناء الفضائل الروحية .

وأنا في اعتقادى أننا مازلنا مبتدئين في التدرج في حفظ وصايا الرب والنمو في حفظها استناداً إلى قول الرب : « متى فعلتم كل ما أمُرِتم به ، فقولوا إننا عبيد بطالون ، لأننا عملنا ما كان يجب علينا » (لو ١٧ : ١٠) .

ومع ذلك أناس الله الروحانيون نظير حياتهم الروحية وسعيهم إلى البر وتكملته ، فهم :

٧- عرضة للتجارب والضيقات .

بين الحين والآخر لكى يكون إيمانهم بالله والحياة معه قائم على خبرة ومعرفة معاشة لا على كلام نظرى فقط وكون الرب يسمح بضيق وتجارب للإنسان الروحى هو لخيره الروحى لأن هذا يؤول : « لثمر بر للسلام » ،

❖❖❖
« لذلك نقوم الأيادى المسترخية والركب المخلعة » (عب ١٢ : ١١ ، ١٢) .
ونتسلح بسلاح الله وذلك للنصرة على إبليس وحيله : « وذلك بلبس درع البر » (أف ٦ : ١٤) .
أخيراً حياة البر وتكملتها تحتاج إلى : التقوى والتواضع .

هناك تلازم بين البر وحياة التقوى مثل تلازم الروح مع الجسد في الإنسان الواحد لأنه لا يمكن أن يكون هناك حياة بر في الإنسان بدون التقوى ، حتى إن الرب قال في سفر ملاخى : « لكم أيها المتقون اسمى ، تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها » (ملا ٤ : ٢) .

ويؤكد الكتاب على رباط التقوى بالبر في قوله : « في كل أمة الذى يتقيه ، ويصنع البر مقبول عنده » (أع ١٠ : ٣٥) ، فلنحترس أن نعيش بالتقوى ونتمسك بها لأن من ثمارها فعل البر في حياتنا ومن غيرها لا تكون فينا ثمار للبر .

أما عن التواضع فهوفضيلة تلد البر ولذا قال النبى صفنيا : « اطلبوا البر . اطلبوا التواضع . لعلكم تسترون في يوم سخط الرب » (صف ٢ : ٣) .

كما أن الرب أوصى قائلاً : « تسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين ، أما المتواضعون فيعطيهم نعمة فتواضعوا تحت يد الله القوية لكى يرفعكم في حينه » (١ بط ٥ : ٥ ، ٦) .

ولا ننسى قول الرب لنا القائل : « تعلموا منى لأنى وديع ، ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم » (مت ١١ : ٢٩) .

فالتواضع هو فضيلة أساسية للبر ، أما عن تكملة فضيلة التواضع يعنى منها التواضع الحقيقي لا الشكلى ، وأن يكون مقترناً مع فضائل أخرى مع الاستمرارية في العمل بها على الدوام .

اخيراً حياة البر وتكملتها تحتاج إلى :

٨- الصحو واليقظة .

عملاً بوصية الرب القائلة : «اصحوا للبر ولا تخطئوا » (١ كو ١٥ : ٣٤) . « لأن إبليس خصماً .. كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه » (١ بط ٥ : ٨) .

ولا ننسى أن حياتنا هي : « كبخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤) .

فجيب علينا أن نكون دائماً في حياة صحو ويقظة ، مسلحين بالأسلحة الروحية في وجه إبليس وحيله الشريرة لكى يقوددنا الرب في موكب نصرته ويعطينا النصيب الصالح في ملكوت السموات .متذكرين وصية الرب لنا في هذا العيد وهى فعل البر وتكملته كما قال ليوحنا المعمدان : « يليق بنا أن نكمل كل بر» .

وكل عام وأنتم جميعاً بخير
ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد . أمين

تحريراً ١٩ / ١ / ٢٠٢١ م

بنعمة الله

الأنبا أغاثون

أسقف كرسى مغاغه والعِدوه